نـافـذة

علم الجميل

نمت العلوم المختلفة، وظهرت طوائف من المفاهيم التي أنجزها إنسانه مطلقاً العنان لبناء مدنية أخلاقية وسياسية، بلغ بها الأوج من الحضيض، وأخضعها لحاجاته البصرية والحركية، ثم عاد رافعاً إياها لتكون حلمه ومثله الأول والنهائي، من باب أنها المؤسسة الاجتماعية والأخلاقية الفريدة التي لا تهيمن على كوكبنا الحي، بما عليه فقط، وإنما على هذا الكون المتكامل وإلى ازدياد من دون أي انتقاص، فهل أدركت المجتمعات هذا العلم الحيادي في المطلق والإنساني في المشترك العام؟ هل وعته الطبقات البسيطة فكرياً أو الفقيرة؟ أم إنها اعتبرته لغةً مركبةً يصعب وعيها؟ ففقدت بذلك مفرداته، وتحدثت عنه من باب اللهو بالعيش أو التمتع الغيبي والاكتفاء بالدعاء الفردي والتواكل، من دون البحث عن أي تطور، بينما أراد أصحاب العلم أن يعلم الناس كافة أهميته، وأنه أعظم مما يظنون، ومن يدركه يصل إلى حضور نوعي ورخاء اقتصادي بسيط أو مركب أو كبير؛ محققاً الحضور الاجتماعي الذي يشار إليه على أنه سمو أخلاقي نادر وحركة استمرار نوعية دؤوبة.

انظروا إلى العالم وغنى مفردات الحياة، ألا تساوركم المخاوف عليها؟ وأهمها التسامح المتعلق بلغة الجميل، كيفٍ به يسامح ونحن لا نسامح؟ كيف به يتكون من الحسّ والوجدان المسؤولين عن تكوين المنطق الأخلاقي الموحد للفنون المفكر فيها ضمن عمليات التأمل؟ فالجمال والجميل سبقا المعرفة التي نبحث بعد امتلاكنا لها عنهما، التي منها يحضر الإدراك والتذوق لكل شيء مختلف عنا وفريد تلتقطه حواسنا.

لم يشأ الجميل إلا أن يكون إنسانه مدنياً، وأن يصل بتأملاته إلى تلك المدنية الحاملة لأصدائه الجمالية، بعد أن يتم توسعة القصور البصري للحياة العصرية، فلا يعنيه مدنية الأسرة أو القرية أو المجتمع بطبقاته، إنما ما يلفت نظره إلى طرق بناء العلاقات فيما بينها، فالجميل استند في تأسيسه وبنائه الكوني إلى الجمال الذي تابعه باسميه البديع والمصور، ومن ثم أطلق على ذاته السميع والبصير والخبير، كي يدهش مخلوقه بكلمته بقدر؛ أي بدقة لا متناهية، فعلى المنغلقين أن يستبصروا، الخالدون لا يموتون، لأن من الخلق يصرخ عليهم، فيجيبون: أيها الجميل إلى أين تريدنا أن نذهب، وأنت القائل في علمك العميق: إن لا جحيم لنا في النهاية؟ نحن من نصنع جحيمنا، القلوب تنفطر فقط على الجمال، لا على التشوه والفساد، لا دور فيها للبغاء إلا بعد حدوث المؤثرات التي تضغط على الجميع إيجاباً أو سلباً.

آية الشعر أن ينشد الجمال، ويهاجم القبح والخطيئة والرذيلة، وإلا لما كان له تصنيف بين صنوفه، أو في مجريات ومنطق آدابها التي يدونها ظهوره عليها وإبداعات علوم الفكر ونتاجه المفيد لإنسانها ولها نحن البشر، ما معنى أن نكون بلا جمال؛ أي بلا إنسانية؟ كيف بنا لا نخضع لأي صنف جميل من صنوف الحياة؟ الورد والزهور جميلة، ونخضع لنصفنا الأنثى الذي يأخذ بنا إلى تطوير الجمال وعلومه وصنوفه بسبب إحداثه للترقق بعد دعوة مكوناته لنا، حتى إنه يصل إلى محو ذاكرتنا عن القسوة والجريمة.

ما الفرق بين الواقعي والانتهازي؟ هل يمكن لأي كائن أن يسحق الحياة في داخلنا، وأقصد طبعاً الجمال؟ أقول: يمكن لحظة أن يمتلك القوى الشريرة التي تبيد ذاته الجمالية أولاً، فإن قدر، استطاع أن يفعل كل ذلك، وببساطة بعد أن يعتقد أنه المجد التسلطي، يمكن أن يصنع الجمال أو أنه يشتريه، لكن في الجانب الأيمن من الجسد البشري، حيث لا قلب، لا حياة، لا جمال؛ بل ظلمة ترخي ظلالها على أي فعل من دون ندم أو حياء أو حبٍ أو من دون شرف، تسكن الآثام المحاربة دائماً للجمال، من يستطع الانتصار على البؤس والقذارة والفقر يقدر على صنع الجمال شريطة ألا ينظر إلى الخلف، ومن يتناول شقاوة الجحيم يقدر على الخروج إلى الحياة، المبادئ يبنيها التقاتل، حيث لذة الحياة، والأمل يحتاج إلى عمل، المبهرون المؤثرون والفصيحون بعيداً عن دروس التاريخ يستنبطون من الواقع، ينتقلون به إلى المستقبل.

الحبّ جميلٌ والنجاح أيضاً، والرسائل المبهجة ترسم الابتسامات الجميلة، لذلك كان الربّ جميلاً، فلو لم يكن كذلك لما سكن القلوب، وتجول وحده بأريحية في العقول، يحرك إنسانية الإنسان، يتحول إلى فعل وصانع للجميل الذي يدخل سجل الحياة، لا يضيع فيها أبداً، غايته إدراك الفعل الجميل ومخرجاته المنعكسة على الحياة.

ربما نصل بالتوافقٍ ضمن مثلث القداسة إلى أنَّ الاسم الأعظم للمكون الكليِّ المطلق عليه السرمدي صاحب العلم المحيط الذي منه أوتينا جزئيته (الجميل)، من باب أنه جميل يحب الجمال، ليكون بذلك إثباتاً لغير المثبت، كيف بنا ندركه والواقع يشير إلى أنه موجود فينا، يحيط بنا، فداخل الإنسان مصنوع بدقة، وشكله الهندسي مرسومٌ ببراعة، تناظره فريد، وكذلك المخلوقات الحية، الطائرة منها والسابحة والدابة والزاحفة.

يكفينا أن نقوم بتأملات بسيطة حتى ندرك الجمال المبهر، كيف بنا لا نسارع لتعليم وتعلم الموسيقا والتصوير والرسم والنحت والرقص والإبداع في المسرح، والإنتاج في السينما؟

إن أدوات علم الجميل تؤدي إلى امتلاك لغة الجمال البصرية التي تدفع بمخلوقه الناطق إما لتعزيز وجوده بفهم وعلم، وإما تدميره بجهل وحسد وحقد، ومن يعمل بذلك فإنه ينهي الشعور والإحساس واللذائذ التي تبعثها المناظر والمحاسن، ويزيد في إبعاد الإلهام وتشويه الجمالي، إن علمه وإتقان فهمه يؤديان إلى الصبر الجميل والصفح الأجمل حتى الترك بجمالية نوعية.

علم الجميل للناس كافة، لا ينبغي أنٍ يكون حكراً على طبقة دون أخرى، وعلومه يجب أن تعمّ الجميع من دون منع أو امتعاض من أيٍّ كان، على اعتباره عمل الله الذي لا يقارن، وحينما نتمتع به ونتملك أحاسيسه، ينكشف الله للبشرية الذي نسترشده بنور الإحساس، حيث يساعدنا للحفاظ على الحقائق، وأنوار حكمته وجماله.

لذلك أدعو جميعنا لتقدير الجمال الذي ينجز ذاك الالتقاء النوعي بين الحواس السبع؛ الماديةٍ الخمس منها، واللامادية العاقلة والناطقة، أي إنه يوحّد العلاقة الإنسانية القائمة من الطبيعتين الروح والجسد، الجوهر والمظهر، بين الماضي والحاضر والمستقبل، بين الذكر والأنثى، بين الأعلى والأدنى، بين الرمزي والروحي، فالطبيعة البشرية تتطور من الفهم العميق الحاصل بين الآداب والطقوس، وأي خلل في إحداهما يعني أن لا جمال في أي منجز.

د. نبيل طعمة

بطولة كأس القارات تزاحم الدراما الرمضانية في صراع محتدم فمن يظفر بقلوب المشاهدين؟

من مسلسل «باب الحارة ٩»

كأس القارات

بين المسلسل المفضل واللاعب المفضل تتدحرج الكرة ويتبعثر المشاهدون

وائل العدس

انطلقت مساء أمس مسابقة كأس القارات العاشرة في روسيا بمشاركة ثمانية منتخبات هي «روسيا، ألمانيا، نيوزيلندا، البرتغال، المكسيك، تشيلي، أستراليا، الكاميرون».

ولكن، لا نعرف أيهما أسوأ حظاً، الدراما أم كرة القدم؟ فالشهر الكريم حمل معه عشرات المسلسلات المتنوعة، وهي في حلقاتها العشر الأخيرة، وفي الوقت نفسه جاء إلينا ببطولة عالمية كبيرة تمتد إلى خمسة عشر يوماً، أي ما بعد الشهر الفضيل بعدة أيام.

ويتفق الجميع أن لكرة القدم سحراً خاصاً وعشاق الساحرة المستديرة كثر، لكن السؤال هل تنتصر الدراما على كرة القدم؟.

صراع محتدم

إذاً، يشهد شهر رمضان المبارك صراعاً محتدماً بين فريقين قويين، الأول فريق الدراما الذي ينتظر عاماً كاملاً حتى يحين موعد الموسم الدرامي، والثاني فريق الكرة الذي يتأهب لمتابعة سحر المستديرة في بطولة تضم نخبة المنتخبات في العالم، ولستُ أدري أي الفريقين سيظفر بنسبة عالية من المشاهدة؟ وإن كنت أرى أن لا مفر أمام الفضائيات وشركات الإنتاج الدرامية من تلقي بطاقة حمراء ضريبة تشابكها مع السباق الكروي.

سيكون السباق محموماً للظفر بقلوب المشاهدين مع تزامن العرس الدرامي بالعرس الكروي، فالجمل الفنية والأهداف الجميلة داخل المستطيل الأخضر ستنافس حتماً المشاهد الدرامية للظفر بقلوب ذلك المشاهد، ولن تقل المنافسة الكروية عن المنافسة بين الكرة بجملها التكتيكية وبين الدراما وجملها الفنية.

عدوى المنافسة ستنتقل إلى الشاشات بين مشاهد يتحمس ليشجع فريقه ولاعبه المفضل، وبين آخر يتسمر لرؤية ممثله ومسلسله المفضل، وعندها سيكون التنافس حاداً في البيت الواحد عندما يتجلى محبو الكرة والدراما في أبهى صورة حين تنفجر الأعمال الدرامية عبر القنوات التلفزيونية لتسفر عن فئات من المشاهدين، فئة تريد أن تعيش قصة حب محبوكة بين عاشقين يريدان بكل ما أوتيا من قوة أن يعيدا زمن الحب الجميل، وفئة تريد أن تبتسم ولو للحظات في مشاهد الكوميديا لعلها تخفف من حدة الأخبار المفجعة التي باتت علامة «عاجل» في نشرات الأخبار.

أمام هذا الكم الكبير من الأعمال الدرامية التي تزدحم بها القنوات التلفزيونية تأبى اللعبة الأكثر شعبية في العالم إلا أن تمد عنقها على المشاهدين لتقسم المشاهدين إلى قسمين، قسم يخفق قلبه إثر كل تمريرة لكرة أو تسديدة، وقسم يدق قلبه توجساً لنهاية غير متوقعة لبطله المفضل، وهنا تبدأ المشكلة ولاسيما إذا كان ذلك البيت لا يتوافر فيه إلا «ريموت كونترول» واحد، يبدأ الصراع غير الودي ولاسيما بين الأنثى والذكر، فالأولى تريد أن تشاهد أبطالها المفضلين في لعبة الدراما لتكمل مسلسلها إلى آخر حلقة، أما الثاني فلا يمكن أن يتنازل عن مشاهدة بطله المفضل في لعبة الكرة ليكمل مشوار منتخبه وبطله إلى صافرة النهاية.

امتحان حقيقي

ستكون العشر الأخيرة من رمضان هذا الموسم الامتحان الحقيقي للدراما التي ستصطدم بجدار بشري كبير من مشجعي الكرة لتحاول أن تخرج برصيد معتبر من المشاهدة.

هو جنون الكرة الذي أوقع الدراما الرمضانية في هذا الموسم في ورطة حقيقية. وسنشهد بالفعل كرة قدم بطعم الدراما لأنها ستسفر عن فائزين كثر، فضلاً عن المتوج بالبطولتين القاريتين.

ربما يكون جمهور كرة القدم مختلفاً تماماً عن جمهور المسلسلات وإن كانت هناك شريحة قليلة من هذه النوعية تحب الكرة أيضاً، لكن الإيجابية في الموضوع أن المسلسلات تعاد في اليوم مرتين وأكثر، كما أن المسلسل الواحد يعرض على أكثر من قناة، منها مثلاً عمل يعرض على أكثر من عشر قنوات في عشرة مواعيد مختلفة، ما يفسح للمشاهد خيارات متعددة في اختيار التوقيت المناسب.

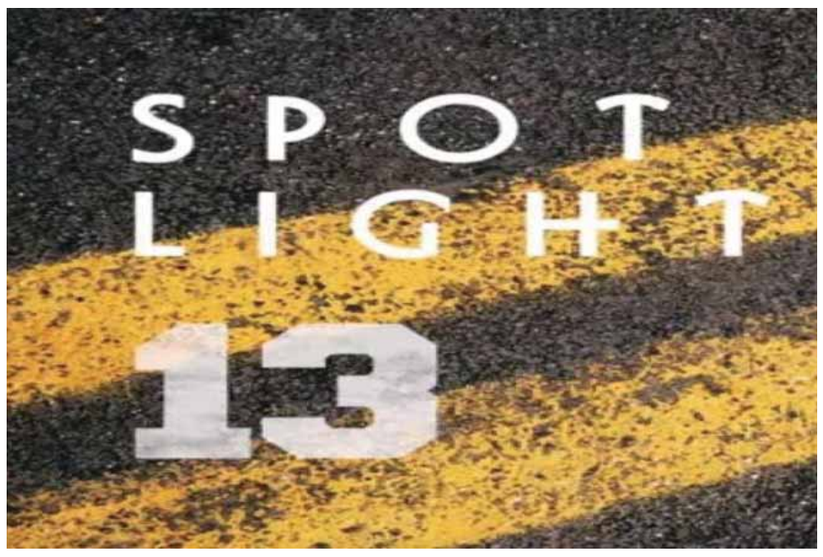

وبالتأكيد فإن المسلسلات غير الحصرية هي التي ستنجو من التأثر، لأنها تعاد أكثر من مرة على أكثر من قناة، وهذا بالتأكيد يخفف من وطأة الخوف من التأثير، لكن في النهاية لا أحد يستطيع إنكار أن هناك تأثيراً سيحدث بسبب مباريات كرة القدم.

المشكلة أن ذروة العروض الدرامية تتزامن مع وقت الإفطار حتى السحور، وهو وقت قصير لا يحتمل توزيعه بين العبادة والدراما والكرة، علماً أن المباريات تقام في الساعتين السادسة والتاسعة مساءً، عدا الاستديو التحليلي الذي يسبق ويلي كل مباراة، وهذا يعنى أن المسلسلات التي ستذاع في هذا التوقيت ستفتقد جمهور الكرة.

هناك مقولة يجري ترديدها بين الحين والآخر بشأن جمهور الكرة الذي لا يهتم أصلاً بالدراما وبالتالي لن تخسر الدراما الرمضانية كثيراً بسبب كرة القدم، وأن جمهور الدراما غير مهتم أصلاً بكرة القدم.. وهو كلام فيه كثير من الأخطاء والمبالغة، وليس صعباً أو استثناء اكتشاف أن المواطن السوري أو العربي الذي يعشق كرة القدم ويتابع مبارياتها، يهتم في الوقت نفسه أيضاً بالدراما ويتابع مسلسلاتها، لكن غالباً ما تسبق كرة القدم الدراما في استطلاعات وإحصاءات المشاهدة.

ولكن إن اضطر المشاهد دعم كفة الكرة، فإنه يستطيع متابعة مسلسله المفضل عبر شبكة الإنترنت، وتحديداً عبر موقع اليوتيوب الشهير الذي يمثل ذاكرة أخرى للدراما، في حين لا يمكن لعاشق ولهان للكرة أن يتابع مباراة ما بالإعادة بعدما عرف النتيجة، لأنه فقد بذلك عناصر المفاجأة والتشويق والحماس والمتعة.

استطلاع

كشف اتحاد إذاعات الدول العربية قبل عامين أن عدد القنوات الفضائية التي تتولى بثها، أو إعادة بثها، هيئات عربية عامة وخاصة بلغ ١٣٩٤ قناة.

وأشار التقرير إلى أن القنوات الرياضية تنفرد بأعلى نسبة في مجموع القنوات المتخصصة في البث الفضائي العربي، حيث يصل عدد هذه القنوات إلى ١٧٠ قناة، كما أن قنوات الدراما التي تبث أفلاماً ومسلسلات تستأثر بالمرتبة الثانية من مجموع القنوات المتخصصة بما يناهز ١٥٢ قناة، فهل ينعكس ذلك على واقع المتابعة؟

الفن والعمارة وتأثير البيئة في بلاد الرافدين

التقدم الحضاري يأتي من التقدم العلمي والتقني المساعد للفنان في عالمه الفني

سوسن صيداوي

منذ بداية الوجود وبداية استعمار الإنسان للطبيعة، منطلقاً من غريزة البقاء وضرورة الاستمرار طوّع رغم بساطته وبدائيته ما حوله من عناصر طبيعية كي تفيده في مبتغاه، وبحسب كل بيئة كان ينتمي إليها، كان منها إبداعه في صناعة عمارة تقيه تحوّل الطبيعة بطقسها. فكر الإنسان المتقد جعله يتفاعل مع ما حوله مشكلاً فناً يوازي طموحه في سعيه الحياتي وتطوره البدائي ومن ثم الحضاري. وحول تأثيرات الطبيعة في الفن والعمارة، صدر عن وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، كتاب بعنوان «الفن والعمارة وتأثير البيئة في بلاد الرافدين» للدكتور المهندس المعماري جهاد كامل صالح، بواقع خمسمئة وثلاث وثمانين صفحة، مقسم إلى خمسة مباحث.

في المقدمة

رصد المؤلف في كتابه هذا تأثيرات الطبيعة في الفن والعمارة في حضارة بلاد الرافدين. وقد بنى كتابه على مقدمة ألمّ فيها بحضارة بلاد الرافدين من الوجهة الدينية التاريخية والثقافية والفنية، وعن بعض ما قاله د. صالح في مقدمة كتابه: «الحضارة الرافدية هي تألق إنساني رافدي يشير إلى حياتهم وأساليبها المختلفة المفيدة والجامعة للجميع تحت ظل نظم اجتماعية مدروسة تتخللها تطلعات ثقافية (دينية وأخلاقية...) توطد الفكر للسير في منظور حياتي هادف يتمسك الكل به لتتوحد التطلعات فيما يخص حسن سير الحياة للجميع ويكون الهدف هنا الإنسان وحياته الإنسانية، فالحضارة التي تبتعد عن الإنسانية هي خارج التاريخ الإنساني». مضيفاً في مكان آخر: «التقدم الحضاري لا يأتي هكذا عبثاً إنما يأتي من التقدم العلمي والتقني المساعد للفنان في عالم خلقه الفني المتعدد الوجوه والذي يعتمد على الترسّب الثقافي والتاريخي في آن واحد. عالم الفن يبين ظروف البيئة الطبيعية التي تأتي منها التقدم الاقتصادي الذي يعكس الحياة الاجتماعية (البيئة الاجتماعية) في الحياة الرافدية ويبين التطلعات المختلفة دينية وسياسية ويبين الإنجازات المختلفة فنية ومعمارية».

في المباحث

جاء الكتاب بجملة من مباحث خمسة، وجعل د. صالح من المبحث الأول لعناصر البيئة الطبيعية وتأثيرها في الفن والعمارة؛ فدرس الطين والحجر والأشجار والحيوانات الضارية والمعادن والمناخ والنجوم والكواكب، وبين انعكاساتها على الفن والعمارة.

وفي المبحث الثاني درس عناصر البيئة الثقافية والدينية والاجتماعية وأثرها في الفن والعمارة على نحو خاص. وفي المبحث الثالث درس عناصر البيئة الطبيعية–الثقافية وانعكاسها على الأعمال الفنية والمعمارية، فدرس مادة الطين وأثرها في الأعمال المعمارية وإكساء الأكواخ وتقنيات صناعة اللبن واللبن المشوي والقباب والأقواس وتشييد الأبنية ذات الأنشطة والأغراض المختلفة (المعابد والأسوار والقصور والأبواب) وكذلك درس مهنة النحت والفن التجريدي المرمّز والفن النباتي واستعمال الشبكة الهندسية وزهرة الحياة الرافدية.

وفي المبحث الرابع درس المحيط البيئي العدائي والعناصر الحامية (المادية والحسية) وتأثيرها في الفن والعمارة، فعرض لبناء الأسوار والأبراج الحامية بشرفاتها وبوابة عشتار والعناصر المرمزية الحامية والمزينة له، والعامل الجمالي الحامي برموزه ودور الشبكة الهندسية المساعدة في البناء الفني وتأثيرها الحضاري، وعالم الجمال التعبدي الحامي للروح، والفن التجريدي الهندسي والفن التجريدي النباتي، والمدلولات الحضارية للكتابة والزخرفة واللوحات النقشية «النحت النباتي» والمسقط المعماري لدور شاروكين وأهمية الباثيو في العملية التصميمية ودوره الحامي للأنشطة المختلفة. وخصص المبحث الخامس لدراسة تأثير مواد البيئة الطبيعية وموضوعات البيئة الثقافية في تشكّل المهن الفنية الرافدية: صناعة الفخار والخزف والأختام الأسطوانية، والتماثيل المتعددة الوجوه والأشكال، ومهنة صناعة المسلات، ومهنة النحت بضروبه المختلفة، وصناعة الحلي، والآلات الموسيقية، والرسم والتزيين الجداري.

حضارة الطين

في تقديم كتاب «الفن والعمارة وتأثير البيئة في بلاد الرافدين» كتب د. محمد عبد الله قاسم بأن أول ما طوّعه الإنسان من مواد الطبيعة هو «الطين» الذي يعد المادة الأولى لأي عمل هندسي معماري ماتع نافع، ولأمر ما سمّى المؤرخون الحضارة الرافدية بحضارة الطين. مشيراً إلى أن الإنسان الرافدي قد سكب دساتير حياته بمختلف جوانبها الاجتماعية والدينية والتاريخية فوق ألواح الطين التي دونت حياة الرافديين بكل جزئياتها شعراً ونثراً، فعلى متن ألواح الطين تُقرأ حوادث التاريخ، فيرى الناظر فيها مسرداً متلاحقاً لكل قصص التاريخ التي مرّت فوق ذلك الصقع من الأرض حتى ليظن المرء أنه يعاين نصرها أو انكسارها الآن. مؤكداً ضرورة النظر من جديد إلى الألواح الطينية الرافدية، بغية إعادة كتابة تاريخ المنطقة، فبرأيه الإعراض المطلق ما هو إلا وأد للحقيقة وعزل للحضارات وإلغاء لما صنعته أيدي الإنسان. وبالتالي هذا فوات للمعرفة وهدر لأجمل ما أنتجه العقل الإنساني على مر العصور.

وهذا ما ختم به المؤلف دراسته في فصل قدم خلاله وجهة نظره في استخدام الطين في بناء مساكن تحاكي متطلبات الشباب العربي، وأيضاً وجهة نظر أخرى حول استخدام الطين في بناء القباب والأقبية مع تبيان جدواها الاقتصادية والجمالية مغنياً دراسته بالصور واللوحات التي تبين ما أراد وتجلي مقاصده حيث قال د. صالح في أحد الأماكن: «إنه من الضروري في الأعمال الفنية والمعمارية في الجغرافيا العربية تبيان الهوية، وبما أن الماضي التراثي بين أيدينا، فمن لا ماضي له، لا حاضر له، فلندرسه جيداً وبشكل علمي لنستنتج ما يساعدنا على التصميم والتنفيذ (قباب، قبوات، وأقواس وأعمدة وحنايا وغيرها) الكفيلة بتحقيق الاحتياجات المطلوبة سواء للنشاطات داخل المبنى أو ما يتعلق بالشكل الخارجي الذي من الضروري أن ينسجم مع المحيط ويؤمن منظراً منسجماً مع منظر عام يبين الحداثة على واجهات تحاكي التراث والواقع المعيشي، علما أن المواد المستعملة في الكتلة الإنشائية ستكون الطين بتقنياته المختلفة لتأصيل فن وعمارة بلاد الرافدين في بلادنا».